

التبيان في تفسير القرآن

(223) قوله تعالى: لاتدرکه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير (103) آية
بلاخلاف. في هذه الآية دلالة واضحة على انه تعالى لا يرى بالابصار، لانه تمدح بنفي الادراك عن
نفسه. وكلما كان نفيه مدحا غير متفضل به فاثباته لا يكون الانقضا، والنقص لا يليق به تعالى.
فاذا ثبت انه لا يجوز ادراكه، ولا رؤيته، وهذه الجملة تحتاج إلى بيان اشياء: احدها - انه
تعالى تمدح بالاية. والثاني - ان الادراك هو الرؤية. والثالث - ان كلما كان نفيه مدحا
لا يكون اثباته الانقضا. والذي يدل على تمدحه شيآن: احدهما - اجماع الامة، فانه لاخلاف بينهم
في انه تعالى تمدح بهذه الآية، فقولنا: تمدح بنفي الادراك عن نفسه لاستحالته عليه. وقال
المخالف: تمدح لانه قادر على منع الابصار من رؤيته، فالاجماع حاصل على ان فيها مدحة.
والثاني - ان جميع الاوصاف التي وصف بها نفسه قبل هذه الآية وبعدها مدحة، فلا يجوز ان
يتخلل ذلك ما ليس بمدحة. والذي يدل على ان الادراك يفيد الرؤية ان اهل اللغة لا يفرقون بين
قولهم: ادركت ببصري شخصا، وآنست، واحسست ببصري. وانه يراد بذلك اجمع الرؤية. فلو جاز
الخلاف في الادراك، لجاز الخلاف فيما عداها من الاقسام. فاما الادراك في اللغة، فقد يكون
بمعنى اللحوق، كقولهم: ادراك قتادة الحسن، ويكون بمعنى النضج، كقولهم ادركت الثمرة،
وادركت القدر، وادرك الغلام اذا بلغ حال الرجال. وأيضا فان الادراك اذا اضيف